سلسلة الخطب المنبريّة
٤

الإسلام دين الإحسان

ويليها

نعمة الغيث وسيول جدّة

خطبتان للشّيخ الدّكتور

عبد الرّزّاق بن عبد المحسن العبّاد البدر

حفظهما الله

شبكة الإمام الآجري
www.ajurry.com

راجعه الشيخ و وافق على نشره
٢

أعد هذه المادة

فريق شبكة الإمام الآجري للتفريغ العلمي

ربيع الأول ١٤٣١

منتديات الإمام الآجري
www.ajurry.com
موقع علمي متخصص في المتون العلمية وطلب العلم الشرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام دين الإحسان

٢٣/شوّال/١٤٣٠

الخطبَةُ الأولَى

إنّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله صلّىٰ الله وسلّم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ..

❍ **معاشرَ المؤمنينَ عبَادَ الله..**

اتّقوا الله، فإنّ من اتّقىٰ الله وقاه وأرشده إلىٰ خير أمور دينه ودُنياه، وتقوىٰ الله -جلّ وعلا- : عملٌ بطاعةِ الله علىٰ نورٍ من اللهِ رجاءَ ثواب الله وتركٌ لمعصيةِ الله علىٰ نورٍ من اللهِ خيفة عذاب الله.

❍ **عبَادَ الله..**

إنّ دين الإسلام دين الإحسان في كل شيء ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿**وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[البقرة:١٩٥]، وقال - جلّ وعلا -: ﴿ **وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[العنكبوت:٦٩]، وقال – سبحانه -: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ**

قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف:٥٦]، وقال - جلّ وعلا -: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[الرّحمٰن:٦٠] والآيات في هٰذا المعنىٰ كثيرة، والدِّين كلُّه -عباد الله- قيامه بالإحسان:

- إحسان في عبادة الخالق - جلّ وعلا-.
- وإحسان في التعامل مع الخلق.

أما الإحسان مع الله وفي عبادة الله - جلّ وعلا - فهو الإتيان بها علىٰ أتم وجه وأحسن حال، كما قال نبينا -عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- في بيان معنىٰ الإحسان وحقيقته قال : «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» [1] .

وبلوغ هٰذه الرّتبة العليّة والدّرجة المُنيفة لابدّ فيه من مجاهدة تامّة للنّفس، وصبر لها علىٰ طاعة الله، قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩].

والإحسان - عبَاد الله - الذي كتبه الله - جلّ وعلا - علىٰ كلّ شيء مطلوب من العبد حتىٰ مع نفسه، يجب علىٰ كلِّ إنسان أن يُراعيَ الإحسان إلىٰ نفسه، وكم يقع في النّاس من ظلم للنّفس، وإساءة إليها

(١) رواه البخاري (ح ٥٠)، ومسلم (ح ٩) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، و رواه مسلم (ح٨) من حديث عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

وخروج بها عن دائرة الإحسان وأُطُرِه ، والله - جلّ وعلا - يقول: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾[الإسراء:٧].

وبهٰذا يُعلم - معَاشر المؤمنين - أنّ المسلم مطلوب منه في هٰذه الحياة من باب الإحسان إلىٰ نفسه والرّحمة بها والرِّفق بها وإبعادها عن مواطن سخط الرّبّ - جلّ وعلا - وغضبه أن يُراعي الإحسان في أعماله وأقواله وأفعاله ونيّاته، فيكون في ذلك محسنًا؛ يُحسن في عباداته وطاعاته وقُرُباته، ويَحرص علىٰ إتمامها وإكمالها، فإنّ إحسان العبد في طاعة الله هو في الحقيقة إحسانٌ إلىٰ النّفس ورحمةٌ بها ورفقٌ.

وكذلك - عبَاد الله- تجنُّب الإنسان للمعاصي والآثام وبُعْده عن كلّ ما يسخط الرّبّ - جل وعلا - كل ذلكم داخل في باب الإحسان، وفي الحديث يقول -عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: « **مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ** »[1] ؛ وفي هٰذا أنّ تجنّب المعاصي والبعد عن الآثام كل ذلكم من باب الإحسان، فمن يقع في المعصية ويقارف الذّنب هو في الحقيقة مسيء لنفسه وليس بمحسن.

---

(١) رواه الترمذي رحمهُ اللهُ (ح٢٤٨٨)، وابن ماجه رحمهُ اللهُ (ح٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وحسّنه لغيره الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (ح٢٨٨١) ، وانظُرْ : جامِعَ العُلُومِ والحِكمِ لِابْنِ رجبٍ رحمهُ اللهُ (١/ ٢٨٧-٢٨٨ ط دارة الملك عبد العزيز رحمهُ اللهُ).

عبَادَ الله..

من يتعاطىٰ المحرّمات ويغشىٰ الآثام ويفعل الحرام كم يسئ إلىٰ نفسه بذلك، المدخّن مسيء لنفسه، متعاطي المخدّرات مسيء لنفسه، مرتكب غير هٰذه الآثام بكل إثم يرتكبه يسيء إلىٰ نفسه ويجرّها إلىٰ العواقب الوخيمة والنّهايات الأليمة، في دنياه وأُخراه، والله -تعالىٰ- يقول: ﴿**وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ**﴾[البقرة:١٩٥].

عبَادَ الله..

ومن الإحسان المطلوب : الإحسان عند المصائب التي تُلمّ بالإنسان وتُصيبه في هٰذه الحياة، بفقد محبوبٍ أو فوات مرغوب، أو حصول ألمٍ أوجائحة أو نحو ذلك، ففي هٰذا المقام مطلوب من العبد الإحسان، والإحسان عند المصيبة بأن يتلقّاها العبد بالصّبر، وأن يعلم أنّها من عند الله فيرضىٰ ويسلِّم؛ ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾[التغابن:١١]، قال بعض السلف: "**هي المصيبة تصيب العبد فيعلم أنّها من عند الله فيرضىٰ ويسلِّم**".

ومطلوب من العبد في باب الإحسان : أن يُحسن إلىٰ عباد الله، بدْءًا بالوالدين فالأقرب والأقرب، قال - الله تعالىٰ - ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ**

وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء:٣٦].

بل إنّ دائرة الإحسان - عبادَ الله - تَطَال حتىٰ الحيوانات، فإن المُسلم مطلوب منه أن يحسن إلىٰ بهيمة الأنعام.

وفي قاعدة عامّة وتأصيلٍ مبارك في هٰذا الباب يقول نبينا -عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي يعلىٰ شدّاد بن أوس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ** »[1].

جاء في **"الأدب المفرد"** للإمام البخاري بإسنادٍ ثابت أنّ رجلًا سأل النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: يا رسول الله، إني لأَذبَح الشَّاةَ فَأرحَمُهَا ؟ قال : «**والشاةُ إنْ رَحِمتَها رَحِمَك الله** » مرتين [2].

ألا فلنتقِ الله -عبادَ الله- ولنراعِ باب الإحسان في أقوالنا وأفعالنا ونيّاتنا، وجميع أحوالنا، متقرِّبين بذلك إلىٰ ربِّنا -جلّ وعلا-.

وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُليا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (ح ١٩٥٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (ح١٥٥٩٢) والبخاري في الأدب المفرد (ح٣٧٣)، وصَحَّحهُ الشَّيخُ الألبانيُّ في الصَّحيحةِ (ح٢٦) .

أن يكتُبنا جميعـًا في عِدَاد عباده المحسنين.

أقول هٰذا القول وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبةُ الثَّانيَةُ

الحمْد لله عظيم الإحسان، واسع الفضل والجود والامتنان، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله صلّىٰ الله وسلّم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ..

عِبَادَ الله..

اتقوا الله -تعالىٰ- وراقبوه مراقبة من يعلم أن ربّه يسمعه ويراه، ثم لنعلم - معَاشر المؤمنين - أنّنا في هٰذه الحياة في دار عمل، وسنلقىٰ الله -جلّ وعلا- يوم القيامة في دار الحساب والجزاء، ومن أحسنَ في هٰذه الحياة الدنيا لقي ثَمَرة إحسانه يوم القيامة؛ ﴿**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[الرحمن:٦٠]، ومن أساء لقي مغبَّة إساءته يوم القيامة؛ ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ**﴾ [الروم : ١٠]، ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة :٧-٨].

والواجب علىٰ العاقل أن يجاهد نفسه علىٰ تحقيق الإحسان في عبادة الخَالق - جلّ وعلا -، وفي معاملته لخلق الله؛ يرجو بذلك رحمة الله وثوابه وكريم موعوده، والكيِّس -عباد الله- من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتْبع نفسه هواها وتمنّىٰ علىٰ الله الأمانيّ.

واعلموا - رعاكم الله - أنّ الإيمان ليس بالتّحلِّي ولا بالتّمنِّي، ولكنّ الإيمان ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال.

واعلموا - رعاكم الله - أن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدىٰ هدىٰ محمّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشرّ الأمور محدثاتُها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإنّ يد الله علىٰ الجماعة.

وصلّوا وسلّموا - رعاكم الله - علىٰ محمّد بن عبد الله كما أمركم الله بذلكَ في كتابه فقال: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:٥٦]، وقال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا** »[1]، وجاء عنه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- الحثّ علَىٰ الإكثار من الصّلاة والسّلام عليه في ليلة الجمعة ويومها.

اللَّهم صلِّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما صلّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

وارضَ اللَّهم عن الخلفاء الرّاشدين، الأئمّة المهديين، أبي بكر الصّديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النّورين وأبي الحسنين عليّ، وارضَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (ح٤٠٨) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

اللّهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين ، وعنّا معهم بمنِّك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشّرك والمشركين ودمِّر أعداء الدِّين.

اللَّهم احْمِ حوزة الدِّين يا ربّ العالمين.

اللَّهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمّتنا و ولاة أمورنا، واجعل ولايتنا في من خافك واتّقاك واتّبع رضاك يا ربّ العالمين.

اللَّهم وفِّق ولي أمرنا لهداك، واجعل عمله في رضاك، وأعنه علىٰ طاعتك يا حيّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهم آتِ نفوسنا تقواها، زكِّها أنت خير من زكّاها أنت وليّها ومولاها.

اللَّهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفة والغنىٰ، اللَّهم إنَّا نسألك الهدىٰ والسّداد.

اللَّهم أصلح ذات بيننا وألّف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام وأخرجنا من الظُّلمات إلىٰ النور، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا، وأزواجنا وذريّاتنا، وأموالنا وأوقاتنا واجعلنا مباركين أينما كنّا.

اللهم اغفر لنا ذنبنا كلّه دِقّه وجِلّه، أوله وآخره، سرّه وعلنه.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين

والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللَّهم إنا نستغفرك إنك كنت غفّارا فأرسل السماء علينا مِدرَارًا.

اللَّهم إنا نتوجه إليك بأسمائك الحسنىٰ، ونسألك بأنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت يا محسن، يا رزّاق، يا جواد، يا منّان، يا كريم، يا واسع العطاء اللَّهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين.

اللَّهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من اليائسين.

اللَّهم اسقنا وأغثنا، اللَّهم اسقنا وأغثنا، اللَّهم اسقنا وأغثنا.

اللَّهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا.

اللَّهم سقيا رحمة لا سقيا هدم ولا عذاب ولا غرق.

اللَّهم إنا نسألك غيثا مغيثا هنيئا مريئا سحّا طبقا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل.

اللَّهم أغث قلوبنا بالإيمان وديارنا بالمطر.

اللَّهم لا تمنع عنّا بذنوبنا فضلك، اللَّهم لا تؤاخذنا بما فعله السفهاء منا.

اللَّهم أغثنا، اللَّهم أغثنا، اللَّهم أغثنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك وأنعم علىٰ عبده و رسوله نبيّنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

۞۞۞۞

نِعْمَةُ الْغَيْثِ وَسُيُولُ جُدَّة

الخطبَةُ الأولَى

الحمْدُ للهِ العظيم المجيد، القائل سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[الشورىٰ:٢٨].

وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ولا نَديد، وأشهدُ أنّ محمدًا عبدُهُ ورسوله، خير من قام لربِّه مقام الثّناء والحمد والتّمجيد، صلّىٰ اللهُ وسلّم عليه وعلىٰ آله و صحبه، ولهم جميعًا من الرّبّ الكريم الرِّضا والمزيد.

أمّا بعدُ ..

❍ **معاشر المؤمنين عبادَ الله ..**

اتّقوا الله – تعالىٰ– وراقبوهُ – سبحانه – مراقبةَ من يعلم أن ربَّهُ يسمعُهُ ويراه، واذكروا –عبادَ الله– نعمةَ اللهِ عليكم وفضلَهُ ومَنَّه وجودَهُ وكرمَهُ وعطاءَهُ وسخاءَهُ، واشكروا الله – جلّ وعلا – علىٰ ما تفضَّلَ بهِ ومَنَّ؛ فإنّ الشُّكرَ مُؤذِنٌ بالمزيد؛ ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[إبراهيم: ٧].

❍ **عبادَ الله ..**

شُكْرُ اللهِ – جلّ و علا – فيهِ حفظٌ للنِّعمِ الموجودة، وطلبٌ وجَلَبٌ

للنّعمِ المفقودة ، ولهـٰذا يُقَالُ عن الشُّكرِ: إنّهُ الحافظُ والجالب؛ أي : الحافظُ للنِّعمِ الموجودات والجالب للنِّعمِ المفقودات، فما استُجْلبت نعمة ولا استُدفعت نقمة بمثلِ شُكْرِ الله وحُسْن الثناء عليه وتمام الإقبال عليه - جلّ وعلا -.

❍ **عبَادَ الله..**

وإذا جدّد الله - عزّ وجلّ - لعبادهِ مِنهُ فضلًا وإحسانًا، فليجدِّدوا في مثلِ هـٰذا المقام ثناءً علىٰ ربِّهم وشُكرانًا.

❍ **عبَاد الله..**

بينما العبادُ قنطين أَزِلين بين خوف ورجاء ويأس في بعض القلوب إذا بالكريم الرّحمـٰن الجواد المنّان المحسن المعطي - جلّ وعلا - يبسط الرّحمة ويُغيث العبادَ وينشرُ فضلَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بغيثهِ المغيث وعطائهِ العظيم؛ فأنزل - جلّ وعلا - غيثًا شَمِلَ حَزْنَ الأراضي وسهلَها وجبالَها وأوديتها وأشجارها وبهائمها، فعمّ الخير وانتشر الغيثُ في البلادِ، وهـٰذه نعمةٌ عظمىٰ ومِنّةٌ كبيرةٌ تستوجب من العبادِ أن يُقبلوا علىٰ الله شكرًا لهُ علىٰ نعمائه واعترافًا لهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بمَنِّهِ وعَطائهِ.

والغيثُ -عبَاد الله- في حقِّ المؤمنين نعمةٌ في كلِّ أحواله، ومنّةٌ وعطَاء، حتىٰ من يصاب منهم بغرقٍ، أو تلف ممتلكاتٍ، أو فقدٍ لأنفسٍ وأرواح،

أو تعرّض لأضرار، فهو في حقِّ المؤمن نعمةٌ في كلِّ حال؛ فالغريق -عباد الله- شهيد، والمؤمن المُصاب الصّابر لهُ عند الله -عزّ وجلّ- أجر عظيم، قال -عزّ وجلّ- : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧]، وفي هٰذا يقول نبيُّنا -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

❍عبَاد الله..

وفي الحادث الجلل والمصاب عظيم الألم الذي أصابَ إخوانًا لنا في منطقة جُدّة، إنه -عباد الله- مصابٌ عظيم، وخطْبٌ جسيم، وفاجعةٌ كبرىٰ؛ لكنّ عبد الله المؤمن يقف تِجَاهَ هٰذه النوازل وأمام هٰذه المصائب وقفة المؤمن الذي في كلِّ أحواله وجميع شؤونه يفزع إلىٰ ربِّه - جلّ وعلا -، فكما أنّ المسلمَ -عباد الله- مُطالب في نعمائه ويُسره و رخائه أن يفزع إلىٰ الله - جلّ وعلا - شاكرًا حامدًا، فكذلك عليهِ عند مصابهِ وشدّته

(١) رواه مسلم في صحيحه (ح٢٩٩٩) من حديث صهيب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

ولَأْوَائه أن يفزع إلىٰ الله صابرًا محتسبًا ، و كما أنّ الله -عزّ وجل- يبتلي من شاءَ من عبادهِ بالنعمةِ ليشكروهُ فإنّه - عزّ و جل - يبتلي من يشاء من عبادهِ بالنِّقمةِ ليصبروا علىٰ الشِّدّةِ و اللّأواء.

والمؤمن في كل أحواله في هٰذه الحياة في امتحانِ وابتلاء، ابتلاء بالنِّعمِ و ابتلاءِ بالمصائبِ والنِّقم، يبلو - جلّ وعلا - عباده بالخير والسّراء والشّدّة والرّخاء، والواجب علىٰ عبد الله المؤمن أن يتلقّىٰ نعم الله بالشّكر وأن يتلقّىٰ المصائب بالصّبر، و كم تحت البليّة من منحةٍ؛ بل منح، و كم تحت الشّدّة من فوائدَ عظيمةٍ وخير وفرح، ولكن لا يَشْعُر بذلك إلا مؤمن فتح الله بصيرته وأَنَار قلبَه بالإيمان وأقبل علىٰ ربّه الكريم المنّان، والمؤمن -عباد الله- لا يُصاب في هٰذه الحياة بهمّ ولا غمّ ولا حُزْن ولا كَرْب حتّىٰ الشّوكة يُشاكها إلا كفَّر الله -عزّ وجلّ- بها من خطاياه.

❍ **عبادَ الله..**

حادث جُدّة فيه عبرةٌ للمعتبرين، وعِظَةٌ للمتّعظين، وفيه بيانٌ لكمال قُدرة الرَّبّ الكريم، وعظمة تدبيره وتسييره وأنّ الأمور بيده - جلّ وعلا - وأنّه -سبحانه- لا يُعجزهُ شيءٌ، وفيه من العبر ضَعْف الإنسان وأنّه لا يدري متىٰ يكون هلاكه وفي أيّ لحظةٍ يكون مُصابه.

ومن العبر العجيبة -عبادَ الله- : أنّ من النَّاس من امتنع من الحجِّ خوفًا

من حُمّىٰ الخنازير فكان موتُهُ في مكانهِ في تلك السّيول.

ومنهم من توكّل علىٰ الله وقصد بيْت اللهِ - جلّ وعلا - فكان لهُ في ذلك مكاسبَ عِظَام.

أقول ذلك تنبيهًا وبيانًا أنّ الأمر كلّه بيد الله، وأنّ نفسًا لا تدري بأي أرض تموت، وأنّ الإنسان إذا كان أجله في أرض كتب الله - جلّ وعلا - لهُ بها حاجة.

من النَّاس -عباد الله- من قدِمَ قبل تلك الليلة بيومٍ أو يومين من أقاصي الدُّنيا ليَلقىٰ حتفه في ذلك المطر، وليلقىٰ حتفه في تلك الفاجعة، فلا يدري إنسانٌ أين يموت ؟ ومتىٰ يلقىٰ ربَّه - عزّ وجلّ -؟ ، وفي ذلك من العبرةِ والعظة وجوب الاستعداد والتهيُّؤ ليوم المعاد.

من النَّاس -عباد الله- من نجا من تلك السُّيول الجارفة والسَّيل العرمرم ، نجا نجاءً مَنَّ الله - عزّ وجلّ - عليه به بعد رؤيتهِ للهلاك المحقَّق؛ ولكنَّه خرج من ذلك السّيل فردًا بلا بيْتٍ يؤويه، ولا مال يمتلكه، ولا أسرة يحدبُ عليها وتحنُّ إليه، خرج فردًا، وهكذا -عباد الله- يلقىٰ كلٌّ منّا ربَّهُ يوم القيامة فردا.

ففي مثل هٰذه النّوازل العجيبة والمصائب العظيمة تحيا قلوبٌ غافلة، وتتّعظ نفوس لاهية، و فيها يتحقّق من أقوامٍ وأقوام حُسْنُ إقبالٍ علىٰ اللهِ

-عزّ وجلّ - وتوبةٍ وإنابةٍ إليه، فكم من أُناسٍ خطّائين ومقبلين علىٰ الآثامِ والخطايا كانت تلك النازلة بابًا لهم إلىٰ العودة إلىٰ اللهِ وصدق اللجوء إلىٰ الله والتوبة إليه - سُبحانه - والإنابة إليه ؛ فكانت باب خير و رحمة وفضل.

❍عبَادَ الله..

ألا فلنتّقي الله - عزّ وجل - ولنعتبر بآيات الله الكونية وعظاته وعبره الّتي ينزِّلها متىٰ يشاء ويريها عبادَه؛ ليكون فيها حياةً للقلوب وضياءً للنّفوس وإقبالًا علىٰ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

اللّهم إنّا نسألك بأسمائك الحسنىٰ وصفاتك العليا وبأنّك أنت الله لا إلٰه إلا أنت أن تجعل قلوبنا قلوبًا حيّة تتّعظ بعظاتك وعِبَرِك يا ذا الجلال و الإكرام .

اللّهم وأغث قلوبنا بالإيمان وديارنا بالغيث المغيث والمطر النّافع والوابل الصّيّب.

اللّهم وإنّا نسألك بأسمائك الحسنىٰ أن تتقبّل إخواننا الذين ماتوا في تلك السُّيول شهداءَ عندك يا حيّ يا قيّوم، وأن تتغمَّدهم برحمتك، وأن ترزق أهلهم الصّبر والسّلوان، وأن تعوِّضهم خيرًا، وأن تجيرهم في مصابهم، وأن تخلفهم خيرًا يا ذا الجلال و الإكرام.

اللَّهم وأصلح شأننا أجمعين، واهدنا إليك صراطًا مستقيمًا.

أقول هـٰذا القول، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبةُ الثَّانيَةُ

الحمْدُ لله عظيم الإحسَان، واسعِ الفضل والجود والامتنان.

وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلّىٰ الله وسلّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد ..

عِبَادَ الله..

اتَّقوا الله -تعالىٰ- وراقبوهُ مراقبةَ من يعلم أنّ ربَّهُ يسمعهُ و يراه.

عِبَادَ الله..

إنّ من فوائد المصائب أنّها تكشف معادن الناس وتُظهر أحوالهم، ففي المُصاب الذي حصل في جُدّة ظهرت معادن الناس المتنوِّعة :

فمن النَّاسِ -عباد الله- من كان لقوةِ شهامتِه وعظم خيره وشدّة نفعه لإخوانه يُخاطر بنفسِهِ مخاطرة عجيبة لإنقاذ غريق ومساعدة ملهوف ومعاونة مكروب، في مخاطرةٍ عجيبة لا يعلم بها إلَّا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن النَّاسِ -عباد الله- من كشف ذلك المُصاب عن كرمِهِ العظيم وإحسانِه لإخوانه؛ ففتح لهم أبوابَ المُساعدة وضَيَّفهم في بيته وقدّم لهم زادَه و زادَ أولادِه.

ومنهم -عباد الله- من لم يهدأْ له بال ولم تقرَّ له عين في ما رآه من مُصابٍ حلّ بإخوانه.

ومنهم -عباد الله- من كان في تلك الحال يستغلُّ إخوانه في ذلك المصاب في جشعٍ مُزْرٍ وطمعٍ فظيع؛ فيستغلّ حاجةَ إخوانه فيرفعُ أسعار البضاعات و يرفعُ أسعار أماكن السّكن والشّقق المفروشات، ويرفعُ أسعار إيجار السّيّارات ؛ جشعًا وطمعًا يستغلّ فيه ذلك المُصاب.

ومنهم من كان معدنه أشد رداءة من هؤلاء فاستغل هٰذا المصاب للابتزاز و السّرقة ونهب أموال المصابين بغير حقّ.

وجميع هؤلاء عند الله - عزّ وجلّ - موعدهم ، ليُثيب المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧-٨].

واعلموا -رعاكم الله- أنّ الكيّس من عباد الله من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أتْبع نفسَهُ هواها و تمنّىٰ علىٰ الله الأمانيّ.

و صَلُّوا وسلِّموا -رعاكم الله- علىٰ محمّد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:٥٦] ، وقال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ-: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[1]، اللهم صلِّ علىٰ محمد و علىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم و علىٰ آل إبراهيم إنّك حميد مجيد ، و بارك علىٰ محمد و علىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم و علىٰ آل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

وارضَ اللَّهم عن الصحابة أجمعين و عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

اللَّهم آمنّا في أوطاننا ووفّق ولاة أمرنا إلىٰ ما تحبّه وترضاه يا ذا الجلال و الإكرام.

اللَّهم وآتِ نفوسنا تقواها ، زكِّها أنت خير من زكّاها.

اللَّهم وأصلح لنا شأننا كلَّه، اللّهم واغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة (١٤).

الفَهرس

خطبة جمعة: الإسلام دين الإحسان..... ٥
الخطبة الأولىٰ..... ٧
مقدمة ٧
الإحسان في عبادة الخالق ٨
الإحسان عند المصائب..... ١٠
الإحسان إلىٰ الوالدين والأقرب فالأقرب ١٠
الخطبة الثانية..... ١٣
التذكير بالتقوىٰ..... ١٣
التذكير بالصلاة والسلام علىٰ النبي الكريم ١٤
الخاتمة بالدعاء..... ١٤
خطبة جمعة: نعمة الغيث وسيول جدة..... ١٧
الخطبة الأولىٰ..... ١٩
مقدمة ١٩
الغيث نعمة من الله عز وجل ٢٠
المصاب الذي وقع في جدة ٢١
المسلم في امتحان وابتلاء ٢٢
حادث جدة عبرة للمعتبرين..... ٢٢
الخطبة الثانية..... ٢٦
حادث جدة كشف معادن الناس ٢٦
التذكير بالصلاة والسلام علىٰ النبي الكريم ٢٧
الخاتمة بالدعاء..... ٢٨